The importance of ancient Eastern literature in understanding ancient Arabic literature

Dr. Ali shhra*

(Received 20 / 3 / 2024. Accepted 22 / 8 / 2024)

□ ABSTRACT □

Ancient Arabic literature is still mysterious in some of its aspects, whether on the literary level of content, or on the linguistic level of language and style. There is no doubt that studying this literature within the framework of its sublime environment provides us with some solutions to the problem of understanding it on the two previous levels

Looking at Arabic literature within the context of its limited Arab environment led to the emergence of deficient interpretations of some of its literary and linguistic material. Based on this, we call - through our research - for the necessity of paying attention to the Semitic languages and knowing their literature, as they constitute an important source of our understanding of our ancient Arabic literature. Because the Arabs are one of the ancient Semitic peoples, and what is said about ancient Semitic life is true in many aspects of ancient Arab life as well.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Phd , Arabic language from Tishreen University – Lattakia- Syria**

أهميَّةُ أدبِ الشَّرقِ الأدنى القديم في فهم الأدبِ العَربيِّ القَديم

د. علي نظير شهرة*

(تاريخ الإيداع 20 / 3 / 2024. قبل للنشر في 22 / 8 / 2024)

□ ملخّص □

لا يزالُ الأدبُ العربيُّ القديمُ غامضاً في بعض جوانبه، سواء على المستوى الأدبي الخاص بالمضمون، أو على المستوى اللغوي الخاص باللُّغة والأسلوب. وممَّا لا شك فيه أنَّ دراسة هذا الأدب في إطار بيئته السَّامية تقدِّمُ لنا بعض الحلول لمشكلة فهمه على المستويين السابقين. فالنظرُ إلى الأدب العربيِّ في إطار بيئته العربية المحدودة أدَّى إلى ظهور تأويلاتٍ قاصرةٍ لبعض مادته الأدبيّة واللُّغوية. انطلاقاً من ذلك فإنَّنا ندعو ـ من خلال بحثنا هذا ـ إلى ضرورة الاهتمام باللُّغات السَّاميّةِ، ومعرفة آدابها، كونها تشكِّل مصدراً مهمَّاً من مصادر فهمنا لأدبنا العربيِّ القديم؛ لأنَّ العرب واحدٌ من الشعوب السَّاميّة القديمة، وما يقال عن الحياة السَّاميّة القديمة يصحُّ في كثير من جوانبه على الحياة العربيّة القديمةِ أيضاً.

الكلمات المفتاحية: أهمية، السَّامية، أدبنا، العربي، القديم.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

*دكتوراه – اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة تشرين – اللاذقية- سورية

مقدِّمة:

دأبَ المستشرقون على دراسة التاريخ العربيِّ القديم دراسة مستقلَّةً عن تاريخ الشرق الأدنى القديم، وكأنَّ شبه الجزيرة العربيّة لا تمثِّلُ جزءاً من هذا التاريخ. والسببُ الحقيقيُّ من وراء ذلك هو الرغبةُ في تشويه التاريخ العربيِّ القديم، والحط من شأن الوضع الحضاري للعرب قبل الإسلام، وإنكارِ الدور الحضاريِّ للعرب في نشأة الشعوب العربيّة السَّاميّة القديمة وتكوينها، وبخاصَّة دور العرب في تكوين الشعب العربيِّ السَّامي في بلاد ما بين النهرين، حيث كان للهجرات المتوالية من قلب شبه الجزيرة العربية إلى المنطقة السورية الدورُ الأكبرُ في تكوين شعوب هذه المنطقة. وهذه النظرةُ ـ بطبيعة الحال ـ نظرةٌ تاريخية خاطئةٌ، والدليلُ على ذلك أنَّه لولا الهجرات العربيّة السَّاميّة المستمرة إلى بلاد ما بين النهرين لَمَا ظهرت هناك الدول والإمبراطوريات العربيّة السَّاميّة، مثل: الإمبراطورية الأكديّة، وهي أوَّلُ دولةٍ عربيّة ساميّة تظهرُ في بلاد ما بين النهرين، ومثل الإمبراطوريّة البابليّة، والإمبراطوريّة الآشوريّة، وكذلك الأمر بالنسبة لبعض الدويلات العربيّة السّاميّة التي ظهرت في المنطقة السُّوريّة. فالتاريخُ العربيُّ السيِّاسيُّ والحضاريُّ غير المباشر موجودٌ ومستمرٌّ، ولم يفقد فعاليته في التاريخ القديم.

أهميةُ البحثِ وأهدافه:

إنَّ معرفتنا بالحياة السَّاميّة القديمة له دوره الكبير في التعرُّف على الحياة العربيّة القديمة، بخاصَّة في الفترات السَّابقة على العصر الجاهليِّ الذي حدَّده مؤرخو العرب بالقرنين السابقين على ظهور الإسلام، وهي فتراتٌ ليس لها مصادرُ عربيّة تدلُّ عليها([1])، ومن هنا تأتي أهميّةُ معرفتنا بالحياة السَّاميّة القديمة كي تزيل كثيراً من الغموض الذي يكتنفُ بعض جوانب الأدب العربي القديم، سواء على المستوى الأدبيِّ الخاص بالمضمون، أو على المستوى اللُّغوي الخاص باللُّغة. وبالتالي فإنَ دراسة الأدب العربيِّ القديم من منظورٍ ساميٍّ يشكِّلُ مصدراً مهماً من مصادر فهمنا لهذا الأدب. أمَّا منهجنا في هذا البحث فيعتمد على المنهجين التاريخيِّ والمقارن، وكما هو معروف فإنَّ المنهج المقارن ليس إلاَّ امتداداً للمنهج التاريخي في أعماق الماضي السحيق.

العرض

أولاً ــ التأريخ للأدب العربي القديم من منظور سامي:

تعدُّ قضية التأريخ للأدب العربي القديم من منظورٍ سامي من القضايا المهمَّة في دراسة هذا الأدب، فمن المعروف أنَّ **العامل الديني** كان له تأثيره المباشر في قسمة تاريخ الأدب العربيِّ عامةً إلى أدب ما قبل الإسلام، وأدب ما بعد الإسلام. وعادةً ما يقسم أدب ما بعد الإسلام إلى عصور عدة مرتبطة **بالتاريخ السياسي** للمسلمين، مثل : أدب صدر الإسلام، وأدب العصر الأموي، وأدب العصر العباسي، والأدب العربي الحديث، وهناك تقسيمات أخرى تخضع لعوامل إقليمية أفرزت مسميات مثل: الأدب المصري، والأدب العراقي، والأدب الأندلسي،...إلخ. ومن الملاحظ على كل هذه التقسيمات لتاريخ الأدب العربي غياب العامل الأدبي في التقسيم. فهذه التقسيمات لا تعتمد على عامل داخلي أي من داخل الأدب العربي وتطوُّره، ولكنها تعتمد على عوامل خارجية، سياسيةً كانت أم دينية أو غير ذلك. ([2])

([1]) ـ حسن أحمد ، د. محمد خليفة: رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، نشر: دار قباء، القاهرة، 1998م، ص97 ــ 98.

([2]) ـ حسن أحمد ، د. محمد خليفة: رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، نشر: دار قباء، القاهرة، 1998م، ص97 ــ 98.

وباستخدام المنظور السَّامي في التأريخ للأدب العربي القديم نجد أنَّ بداية التأريخ للأدب العربي بالعصر الجاهلي هي بداية خاطئة من المنظور السامي؛ لأنَّ الأدب الجاهلي يمثِّلُ آخر عصور الأدب العربي القديم قبل ظهور الإسلام، وهو في الوقت نفسه يمثل بدايةً لعصر أدبي جديد. وبناء على ذلك يحقُّ لنا ـ وفق المنظور السامي ـ أنْ نقسِّم الأدب العربي إلى عصرين: الأول هو العصر الأدبي العربي السامي، والعصر الثاني هو العصر الأدبي العربي الإسلامي. فالأول أدب تمَّ إنتاجه وإبداعه في بيئة عربية سامية، والثاني تمَّ إنتاجه في بيئة عربية إسلامية، والمساحة التي تغطيها البيئتان هي مساحة واحدة، فالمنطقة السامية تظلُّ المركز الأساسي للإنتاج الأدبي العربي بعد الإسلام كما كانت قبله. ([3])

ووفقاً للمنظور السامي لا بدَّ من وجود عصور أدبية عربية سابقة على العصر الأدبي المسمَّى بـ (العصر الجاهلي) آخر عصور الأدب العربي القديم قبل الإسلام، أي آخر العصور الأدبية السامية، والذي يؤكِّد هذه الحقيقة التاريخية قدم الأدب السامي القديم، وعودته إلى ما يقرب من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد وفقاً لأقدم الآداب السامية المدوَّنة. وربَّما يعود إلى أقدم من هذا التاريخ لو أخذنا في الحسبان وجود مراحل تطوُّر أدبية شفوية قبل تدوين النصوص الأدبية السامية. ([4])

وبما أنَّ النظرية السائدة في مجال الدراسات السامية هي نظرية الأصل العربي الأول للساميين وللغات السامية، فمن هذا المنطلق نقول بضرورة الاعتقاد النظري في وجود أدب عربي قديم سابق على الآداب السامية القديمة ويعدُّ أصلاً لها. فكما تمَّ التساؤل عن لغة سامية أُم، وعن وطن سامي أول، فمن المنطقي أنْ نعتقد نظرياً في وجود أدب عربي قديم كأصل للآداب السامية القديمة. ([5])

ثالثاً ـ غياب البُعد السَّامي في دراسات الأدب العربي القديم:

يرادُ بغياب البُعدِ السَّامي عزلُ الأدب العربي القديم عن بيئته الطبيعية، وهي البيئة العربية السامية القديمة، ومحاولة فهم قضايا الأدب العربي القديم فهماً محدوداً داخل بيئتها المحدودة في شبه الجزيرة العربية. ويعدُّ هذا العزل ـ من وجهة نظرنا ـ جزءاً من مخطط استشراقيٍّ قديم لعزل شبه الجزيرة العربية تاريخياً وجغرافياً وحضارياً عن البيئة السامية القديمة، والهدف من وراء هذا العزل تشويه صورة التاريخ العربي القديم، والحط من شأن الوضع الحضاري للعرب قبل الإسلام، وإنكار الدور الحضاري للعرب في تكوين الشعوب السامية، إذ من المعروف تاريخياً أنَّ الشعوب السامية تكوَّنت في الأصل على أساس عربي من خلال الهجرات المتوالية من قلب شبه الجزيرة العربية إلى مناطق مختلفة، مثل بلاد ما بين النهرين، وسورية، وغيرها من المناطق الأخرى. وبمقابل هذا التقليل والتحقير من أهمية الأدب العربي القديم نجد التعظيم والتقدير والرفع من شأن الآداب السامية الأخرى، كالعبرية والآرامية والأكادية، وصرف الأنظار عن التأثير الأدبي العربي على آداب هذه اللغات. ([6])

ولذلك ـ ومن أجل استدراك ما فات، ولتصحيح المسار الذي بدأ بالانحراف ـ لا بدَّ من أنْ نبذل جهوداً كبيرة في مجال خدمة اللغة العربية، وذلك عن طريق التوسع في تطوير الدراسات السامية اللغوية والأدبية، وإنْ كانت المؤشرات الحالية كلها تشير إلى عكس ذلك تماماً. فدراسة اللغات السامية وآدابها آخذ في الانهيار، ومن مظاهر الانهيار ندرة

([3]) ـ يُنظر: المرجع السابق، ص 98.

([4]) ـ يُنظر: المرجع السابق، ص 98، 99.

([5]) ـ يُنظر: المرجع السابق، ص 99.

([6]) ـ حسن أحمد ، د. محمد خليفة: رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، ص 81

المتخصصين في مجال الدراسات السَّامية، والاهتمام بالتخصص في واحدة من اللغات السَّامية دون الحرص على معرفة علاقاتها باللغات السَّامية الأخرى.

ولا ندري إنْ كان من الممكن إصلاح هذه الأوضاع في ظل الظروف السائدة، ولكن لا بأس من التذكير ببعض التساؤلات التي طرحها عميد الأدب العربي طه حسين في بدايات القرن الماضي حول علاقة الأدب العربي بالآداب السامية الأخرى حين قال : (... **وكيف السبيل إلى أنْ يدرس الأدب العربي درساً صحيحاً دون أنْ تدرس الصلة المادية والمعنوية بين اللغة العربية واللغات السامية، وبين الأدب العربي والأدب السامي؟ ... وهل هناك سبيل إلى أنْ يُدرسَ الأدب العربي دون أنْ تُفهمَ التوراة أو الأناجيل...**)([7])، وكذلك ما ذهب إليه الدكتور جواد علي عن ضرورة دراسة أحوال العبرانيين قبل الإسلام لمعرفة أحوال العرب في الجاهلية، حيث قال: (**لهذا أرى أنَّ من اللازم لمن يدرس أحوال الجاهلية، التوغل في دراسة تلك الموارد وجميع أحوال العبرانيين قبل الإسلام**). ([8])

ولعلَّ في قول طه حسين، وجواد علي ـ المذكورين آنفاً ـ ما يكفي لإثبات صلة الأدب العربي بالأدب السامي القديم. وتجدر الإشارة هنا أيضاً إلى أنَّ العديد من المتخصصين طالبوا بضرورة بحث قضايا اللغة العربية وآدابها في محيط اللغات السامية حتى تتحقَّق الفائدة للأدب العربي على وجه الخصوص.([9])

رابعاً ــ أهمية اللغات والآداب السامية كمصدر ثانٍ لحياة العرب قبل الإسلام:

ذهبَ طه حسين في كتابه المعروف(في الأدب الجاهلي) إلى القول إنَّ القرآن الكريم يُعدُّ المصدر الأول والأساس لمعرفتنا عن الحياة الجاهلية، وأنَّ مرآة الحياة الجاهلية يجب أنْ تُلتمسُ في القرآن لا في الأدب الجاهلي، فالقرآنُ أصدقُ مرآةً للعصر الجاهلي، ونصُ القرآن ثابتٌ لا سبيل إلى الشك فيه.([10]) وانطلاقاً من تأكيد طه حسين ـ كما ذكرنا من قبلُ ـ على ضرورة إتقان اللغات السامية، ومعرفةِ آدابها، ودراسة الصلة المادية والمعنوية بين اللغة العربية وأدبها القديم واللغات السامية وآدابها، فإنَّه لا بدَّ من الاهتمام بهذه اللغات وآدابها كمصدر ثانٍ للحياة العربية القديمة يأتي بعد القرآن في الأهمية؛ وذلك لأنَّ المعرفة بالحياة السامية القديمة له دور كبير في التعرُّف على الحياة العربية القديمة خاصةً في الفترة السابقة على العصر الجاهلي الذي حدَّده مؤرخو العرب بالقرنين السابقين على ظهور الإسلام، وهي فترةٌ لا مصادرَ عربية تدلُّ عليها. كما أنَّ ندرةَ أو قلَّة الآثار المكتشفة تجعل من الصعب تكوين صورة تاريخية واضحة لهذه الفترة من التاريخ العربي القديم. لذلك ليس أمامنا إلاَّ المصادر السامية القديمة التي تصف لنا الحياة السامية لكي نستشفَّ منها بعض المعلومات الأساسية عن حياة العرب في العصور السابقة على العصر الجاهلي. ولعلَّ السبب الذي يدفعنا إلى ذلك هو أنَّ الجزيرة العربية على المستوى الحضاري هي جزء لا يتجزَّأ من الحضارات السامية القديمة، إنْ لم نقلْ إنَّها أصل هذه الحضارات. فالعرب الساميون الذين انطلقوا من شبه جزيرة العرب باتجاه العراق لم يكن بإمكانهم السيطرة على تلك البلاد، وفرض لغتهم وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم لو لم يكونوا قوماً متحضِّرين. ([11])

([7]) ــ حسين، طه: في الأدب الجاهلي، نشر: دار المعارف، مصر، ط17، مقدمة الطبعة الثانية 1927، ص 17.

([8]) ـ علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد، ط2، 1993، ج1/ 56.

([9]) ـ يُنظر: عابدين، د. عبد المجيد: الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، دار مصر للطباعة، 1956م، الصفحة: ج.

([10]) ـ حسين، طه: في الأدب الجاهلي، ص 70.

([11]) ـ يُنظر: فخري، د. أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1963م، ط2، ص 124.

ومن المصادر السَّامية الهامة التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة الأدب العربي القديم كتاب العهد القديم الذي أشار إليه طه حسين بقوله الذي ذكرناه آنفاً: **(وهل هناك سبيلٌ إلى أنْ يُدرسَ الأدبِ العربي دون أنْ تُفهمَ التوراة أو الأناجيل)**. والتوراة ـ كما هو معروف ـ تكوِّن الأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم، ونحن نعتقد أنَّ طه حسين قصد من كلمة (التوراة) الإشارة إلى كتاب العهد القديم كلِّهِ من باب إطلاق الجزء على الكل.

وتأتي أهميةُ كتابِ العهد القديم من كونه يحتوي على إشاراتٍ وموضوعاتٍ تشيرُ إلى عرب شبه الجزيرة العربية الأمر الذي يجعله بحق أحد المصادر الأساسية لتاريخ العرب وحياتهم وأنشطتهم، كما يوضِّح الدور الديني للعرب في صياغة ديانة بني إسرائيل، ودورهم في تشكيل جانبٍ من الإنتاج الأدبي المنسوب إلى الإسرائيليين. وهنا تظهر ـ بالذات ـ أهمية كتاب العهد القديم في التأريخ للأدب العربي القديم، حيث اشتمل على قصص وروايات عربية الأصل وجدت طريقها إلى كتاب العهد القديم إمَّا عن طريق الترجمة أو عن طريق التبنِّي المباشر لبعض القصص العربية ونسبتها إلى بني إسرائيل بعد إدخال تعديلات عليها كي تناسب الحياة الإسرائيلية وظروفها. ومن الأعمال التي لا شكَّ في أصلها العربي قصة أيوب عليه السلام الواردة في السفر الذي يحمل اسمه من بين أسفار العهد القديم.([12]) كذلك تنسبُ أجزاء من سفر الأمثال إلى أصول عربية تؤكدها الأسماء العربية الواردة في السِّفر.([13]) كما تعكس قصة راعوث المؤابية الواردة في سفر راعوث بعض الأخبار والعادات والتقاليد ذات الأصول العربية.

وعلى المستوى التاريخي تشير فقراتٌ عديدةٌ من كتاب العهد القديم، ولاسيما القسم الأول منه وهو التوراة، وكذلك القسم الثاني وهو الأنبياء ، إلى أحداثٍ تاريخية تتعلَّقُ بالعرب خاصةً في علاقتهم ببني إسرائيل كالروايات الخاصة بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، والإشارات إلى أقوام من العرب كالإسماعيليين والمديانيين والقيداريين والعمونيين والمؤابيين وبعض القبائل السينائية والأدوميين، وكذلك الإشارة إلى أخبار عن جنوب شبه الجزيرة العربية كرواية ملكة سبأ وقصتها مع سليمان عليه السلام.([14])

أمَّا على المستوى الديني فيفيد كتاب العهد القديم في التعرُّف على بعض الأنشطة الدينية للعرب، ومن بينها التعرُّف على طبيعة الحياة الدينية عندهم، وذلك من خلال ما يقدِّمه كتاب العهد القديم من وصف للوثنية في البيئات المحيطة بمنطقة فلسطين، وما يوجهه من نقد عام للديانة الوثنية، وللطقوس والعادات الدينية عند شعوب الشرق الأدنى القديم كالمصريين القدامى، وقبائل شبه جزيرة سيناء العربية، والكنعانيين، والآشوريين، والبابليين، والفرس، والآراميين،

([12]) - D.S Margoliouth, The Relations Between Arabs and Israelites prior to the Rise of Islam , Oxford Univ . press, 1924, p.32

([13]) – يُنظر: أحمد حسن، د. محمود: الصورة الأدبية بين أسفار المكتوبات والأدب الجاهلي، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب عين شمس، 1984، 395 ـ 397.

([14]) ـ الإسماعيليون: تطلق هذه التسمية على القبائل العربية التي تنتسب إلى إسماعيل بن إبراهيم من زوجته هاجر. وتعرف هذه القبائل كذلك بالعدنانية نسبة إلى عدنان المتحدِّر من إسماعيل.

المديانيون: شعب من البدو الرحل في جزيرة العرب، يجعلهم كتاب العهد القديم من نسل مديان ، موطنهم بلاد مديان، وكانوا يتعاطون التجارة مع فلسطين ولبنان، تحالف المديانيون مع مؤاب ضد بني إسرائيل وقد انتصر عليهم جدعون فكادوا يتلاشون، وتماهوا من ثمَّ مع العرب والمؤابيين.

القيداريون: نسبة إلى قيدار، هو ثاني أبناء النبي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وهو جد العدنانيين، وتنسب إليه مملكة قيدار المذكورة في كتابات الآشوريين.

العمونيون: أُطلقت هذه التسمية على قبائل سامية استقرت في شرق الأردن، وهم ينحدرون ـ وفق التوراة ـ من عمون بن لوط، وكانوا في صراع مستمر مع بني إسرائيل، وانتهى تاريخ العمونيين باندماجهم تدريجياً مع باقي سكان شرقي الأردن في العهد الروماني.

المؤابيون: شعب سامي يرجع تاريخ استقرارهم في فلسطين إلى أواخر القرن الرابع عشر قبل الميلاد، أي أنَّهم أسبق من القبائل العبرانية بزمن طويل في فلسطين، وينسبهم العهد القديم إلى(لوط) من ابنته الكبرى.(تكوين 19/37).

واليونان، رغمَ أنَّ كل هذه الشعوب تركت آثارها الدينية على بني إسرائيل. وفي واحدة من مناسبات الاتصال الديني بين الإسرائيليين والعرب في شبه جزيرة سيناء يتبنَّى الإسرائيليون عبادة الإله (يهوه)، والذي يرى بعض النقاد العرب أنَّه إلهٌ عربي قديم عرفه موسى عليه السلام خلال فترة وجوده في سيناء بعد زواجه من امرأة عربية هي ابنة كاهن مدياني حسبما تصوِّر التوراة. ويوصف (يهوه) بأنَّه إله صحراوي بسيط في صفاته، وفي الشعائر المرتبطة به، والتي لم تكن لتزيد عن بعض المناسبات الدينية البسيطة التي تقدَّمُ فيها الأضحيات، وتحرق فيها المحروقات، وكان مقامه في إحدى الخيام، وهي صفات موجودةٌ في الإله يهوه الذي أصبح إله الإسرائيليين في سيناء وبعد دخولهم أرض كنعان حسب الوصف التوراتي له.([15])

وعلى المستوى الأدبي يفيد كتاب العهد القديم كثيراً في التعريف بجوانب من الحياة الأدبية والإنتاج الأدبي للعرب قديماً. وذلك من خلال نصوص أدبية عربية قديمة عرفت طريقها إلى كتاب العهد القديم عن طريق الترجمة أو غيرها من وسائل الاتصال الأدبي بين الشعوب، كسفر أيوب مثلاً. هذا بالإضافة إلى أنَّ مسألة تطوُّر الشعر العربي، والتعرُّف على المراحل القديمة لهذا التطوُّر يمكن الوصول إلى بعض الرأي فيها من خلال دراسة الأجزاء الشعرية في العهد القديم ومقارنتها بالشعر العربي من حيث الشكل أو البناء والخصائص الفنية. وإذا ما أخذنا بنظرية الأصل العربي لهذا الشعر أصبح لزاماً علينا النظر إلى الأجزاء الشعرية الواردة في هذا الشعر على أنَّها ربَّما تمثِّل نماذج شعرية عربية قديمة تفيد في معرفة تطور الشعر العربي.([16])

الأثر العربي القديم في آداب بعض اللغات السامية الأخرى:

إنَّ ندرة النصوص العربية الدالة على الإبداع الأدبي القديم ليست دليلاً قوياً على عدم وجودها في الأصل. إنَّما ندرتها تعود إلى الظروف البيئية لشبه الجزيرة العربية، التي لا يزال تاريخها القديم تاريخاً غامضاً بسبب الندرة العامة في الآثار الدالة على هذا التاريخ، وصعوبة التنقيب عن الآثار في شبه الجزيرة العربية. ولذلك فالإنتاج الأدبي العربي القديم لا يزال في معظمه مطموراً في رمال الصحراء، ومجهولاً بسبب هذه الظروف الخاصة بجغرافية شبه الجزيرة وطبيعتها.

" فمما لا شك فيه أنَّ كل الآداب السامية تقريباً تتخللها عناصر عربية أكيدة، بعضها يعود إلى أصول قديمة جداً مرتبطة بكون العربية أصلاً للغات والآداب السامية، وكون شبه الجزيرة العربية الموطن الأول للساميين، وبعض هذه العناصر يعود إلى فترات أحدث في تاريخ العلاقات العربية مع الساميين، مع توالي الهجرات العربية إلى البيئة السامية في بلاد النهرين، وفي المنطقة السورية، وكذلك في المنطقة الإفريقية المواجهة لشبه الجزيرة العربية والقريبة منها في الشرق الإفريقي". ([17])

ويرى الدكتور محمد خليفة حسن أحمد أنّ العنصر العربي أساس في كل الآداب السامية، وأنَّنا نحتاج إلى جهود علمية فائقة في مراجعة نصوص الآداب السامية من أجل تحديد هذا العنصر العربي، وتحديد مدى مساهمة العرب في الآداب السامية، ودرجة تأثيرهم في هذه الآداب، فضلاً عن الهدف الأساسي وهو استخراج بعض النصوص الأدبية ذات الأصول العربية الخالصة في بنية الأدب السامي القديم. وقد ساق الدكتور محمد خليفة حسن بعض الأمثلة على أنَّها

([15]) ـ ثمةَ آراء عديدة قيلت حول تفسير اسم (يهوه)، لعلَّ أقربها إلى كونه عربي ما قاله المستشرق (فلهاوزن) من أنَّ يهوه مشتق من (هوى) العربية التي منها (الهواء)، فمعناه يسري في الأهوية (يهب)، أي أنَّه إله العاصفة. يُنظر: موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: د. السيد يعقوب بكر، دار الرُّقي، بيروت، 1986، ص 286.

([16]) ـ يُنظر: Philip Hitti, History of the Arabs, 9th edition, Macmillan , London, 1968, p.43

([17]) ـ حسن أحمد ، د. محمد خليفة: رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، ص 101ـ 102.

نصوص وآثار عربية قديمة عرفت طريقها إلى الأدب السامي القديم، وأصبحت تحسبُ ضمنَ الإبداع الأدبي لبعض الشعوب السامية بعد أنْ تمَّ دمج العنصر العربي فيها بالعناصر الأساسية الأخرى، ومن هذه الأمثلة: ([18])

أ ـ ملحمة جلجامش.

ب ـ الكتاب المقدَّس عند اليهود، أي كتاب العهد القديم.

أ ــ ملحمة جلجامش:

تعدُّ ملحمة جلجامش أقدم ملحمة عرفها التاريخ الإنساني، وهي ملحمة تعود إلى أصل سومري قديم، تمّ تعديله وإعادة صياغته وتركيبه بعد تمام السيادة السامية(العربية) على بلاد ما بين النهرين، وقيام أول دولة سامية(عربية) وهي الدولة (الأكادية)، فصيغت الملحمة صياغة ساميةً عند البابليين، والآشوريين يظهر فيها تأثير الفكر العربي القديم على بيئة بلاد ما بين النهرين في مرحلة تاريخية تعدُّ من أقدم مراحل الاحتكاك بين العرب والساميين.([19])

ملخص الملحمة : ([20])

تدور هذه الملحمة حول جلجامش ملك (أوروك) السومرية في الألف الثالث قبل الميلاد. وما نعرفه منها وصلنا من مكتبة آشور بنيبال في نينوى، ومن مقاطع وترجمات حثية وحورية. وهي تبيِّنُ هاجسَ كشفِ النقابِ عن عالم ما بعد الحياة، وعن القلق أمام الموت. و جلجامش هو الرجل الذي يعلمُ كلَّ شيءٍ، وُلِدَ في قصر ملك(أوروك)، و بنى أسوارَ المدينة، اجتمعت الآلهةُ عند ولادته ومنحته صفاتٍ خارقةً وأعطته جسداً كاملاً. أُمُّه الإلهة (نينسون) التي تعرف كل معرفة، وأبوه (لوجال بندا) ملك ورئيس كهنة.

نما جلجامش وأصبح جباراً وملكاً عظيماً، وطغى عليه الغرور إذ لم يجد إنساناً يعادله بقوته. كره الشعب ومجلس الشيوخ طغيان ملكهم فقدَّموا القرابين في معبد (أرورو)إلهة الأمومة العظيمة، التي سمعت شكواهم، واستجابت لطلباتهم، فخلقت نظيراً لجلجامش هو أنكيدو، وجعلت مقدّمه ونصفه الأعلى على شكل إنسان، ومؤخره ونصفه الأسفل ثوراً. وعاش مع الوحوش في البراري يدفعُ عنها أذى الصيادين. فجاء أحد هؤلاء ببغيٍّ من خادمات عشتار أغرته بمفاتنها فجامعها وتعرَّف على ملذات الحياة البشرية، وأقنعته البغيُّ بالتوجه إلى (أوروك) حيث عارك جلجامش، وأصبح من ثمَّ صديقاً حميماً له. رحل جلجامش وأنكيدو إلى غابة الأرز في جبال الأمانوس، وتغلَّبا على حارس الغابة الوحش همبابا، وتعلَّقت(عشتار) بجلجامش وراودته عن نفسه، وعرضت عليه أنْ يتزوج بها، إلاَّ أنَّ جلجامش رفض طلبها؛ لأنَّها لم تكن يوماً وفيَّةً لمن أحبت. لذا طلبت (عشتار) من أبيها أنْ يرسل ثورَ السماءِ لضرب جلجامش، ولكن جلجامش وأنكيدو عاركا الثور السماوي وقتلاه، وانتزع أنكيدو الفخذ الأيمن للثور، وقذفه في وجه(عشتار). لذا حكمت الآلهة على أنكيدو بالموت، فمرض ومات في اليوم الثالث عشر من مرضه بين ذراعي رفيقه الذي لم يكن يفارقه.

بكى جلجامش، وتأكَّدَ أنَّ مصيره لن يكون أفضل من مصير أنكيدو، وكان سمعَ أنَّ (أوتو نبشتم) نجا من الطوفان ومنحته الآلهة الحياة الأبدية، فأخذ جلجامش يجوب البراري والقفار حتى وصل إلى الجبال العظيمة، وهناك التقى بالرجال العقارب فتركوه يمر. كما التقى صاحبة الحانة(سيدوري) وشكا إليها أمره، فقالت له صانعت الخمر إنَّ الآلهة حين خلقت البشر فرضت عليهم الموت ونصحته بأنْ يتفرَّغ لأموره الدنيوية، ويعيشَ متقبِّلاً فكرة الموت. وأخيراً يصل

([18]) ـ **حسن أحمد ، د. محمد خليفة: رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، ص 102ـ 104.**

([19]) ـ **يُنظر: موسكاتي، سبتينو، الحضارات السامية القديمة، 61**

([20]) ـ **يُنظر: السواح، فراس، قراءة في ملحمة جلجامش، دار العربي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى 1987م.**

جلجامش بعد صعوبات جمة إلى (أوتو نبشتم) فيروي له هذا كيف حصل على الخلود بعد الطوفان. وفي طريق عودته إلى بلاده اقتربت منه حيَّةٌ وسرقت منه عشبةَ الحياة وهو نائم، فلم يكن بالتالي بدٌّ من موته كسائر أفراد البشر

الأثر العربي في هذه الملحمة:

لقد كتب عن هذه الملحمة دراساتٌ لا تعد ولا تحصى، وأُشبعت نقداً وتمحيصاً ومعالجة، ومع ذلك مازلنا نتابع بين الحين والآخر دراساتٍ جديدةً عنها، ونقرأ رواياتٍ وقصصاً ومعالجاتٍ إبداعية مستمدة من وحيها، وأعتقد أن السّر في هذا الاهتمام، والإعجاب يعود إلى أن هذه الملحمة مازالت متلفَّعة بغطاء الخيال، ومعتمرةً طاقيةَ الأسطورة، وتشخّصُ واقعَ الإنسان ومشكلاته الأبدية، التي يتمحور حولها السؤال الأزلي: ما الغاية من الحياة؟! ولماذا نموت ؟ وهذه الأسئلة لا إجابة قاطعة حولها..

فالملحمة ـ من وجهة نظرنا ـ تقدِّمُ لنا نموذجين للبطولة في العالم القديم ينتميان إلى بيئتين مختلفتين، وتوضِّحُ كيفية اندماج هاتين البيئتين في بيئة واحدة، ودرجة تأثير كل بيئة منهما في الأخرى.

النموذج الأول: يمثله البطل جلجامش الذي يمثِّلُ البيئة الأصلية لبلاد ما بين النهرين، ويؤكِّد ذلك الأصل السومري له، فهو أحد ملوك سومر في الأصل، وهو يمثِّلُ أيضاً البيئة الزراعية التي هي طبيعة بلاد ما بين النهرين. أمَّا النموذج الثاني فيمثِّلُه البطل أنكيدو القادم من البيئة البدوية المحيطة ببلاد ما بين النهرين، ويقصد بها ـ بلا شك ـ البيئة العربية الصحراوية.

ولا بدَّ من دخول هذين البطلين في صرعٍ بطوليٍّ يدور حول القيم. فأنكيدو البدوي الأصول والمتخلِّف على المستوى الحضاري المادي يتحدى قيمَ الحضارةِ التي يمثِّلها جلجامش المتحضِّر على المستوى الحضاري العام. وتبيِّنُ الملحمةُ في سيرتها انتصارَ قيمِ البادية على قيم الحضارة الزراعية، ويظهر هذا الانتصار في التحوُّل الذي يصيبُ شخصيةَ جلجامش خلال مراحل الملحمة، والتغيير الذي يصيب مفهوم البطولة فيها بفضل هذا التأثير البدوي العربي.

وكما تُظهرُ الملحمةُ العنصرَ العربي من خلال هذا التأثير البدوي فيها، فإنَّها أيضاً تشير إلى المسار التاريخي من البداوة إلى الحضارة، وتدلُّ دلالة قاطعة على كيفية دخول البدو العرب الساميين في حضارة بلاد ما بين النهرين، وعملية تكيفهم مع البيئة الجديدة، وذكر العوامل النفسية الدقيقة المصاحبة لعملية التكيُّف، والتغيرات التي طرأت على العنصر العربي خلال عملة التكيُّف هذه، والتي هي ليست إلاَّ رمزاً إلى عملية عامة خضعت لها الجماعات البدوية القادمة من شبه الجزيرة العربية، والتي انخرطت في شعوب بلاد ما بين النهرين، وطبيعة الصراع الذي نشأ بين البيئة البدوية والبيئة الزراعية، وفضل كل منهما على الأخرى في تشكيل إنسان ما بين النهرين، وتكوين إنسان جديد يجمع بين الفطرة العربية التي تمثلها قيم البادية، والشكل الحضاري المعقد الذي تمثله قيم البيئة الزراعية.([21])

وخلاصة القول أنَّ هذه الملحمة ـ في وجه من وجوهها ـ أثرٌ عربي قديم ربَّما يعدُّ من أقدم الآثار العربية المعروفة في الآداب السامية، وهي تؤكِّدُ أنَّ الاحتكاك البدوي العربي ببيئة بلاد ما بين النهرين أقدم بكثير من عصر إبراهيم عليه السلام. ومن هذه الملحمة يمكن أنْ نخرج بتحديد دقيق لطبيعة الشخصية العربية، سواء قبل اندماجها في بيئة بلاد ما بين النهرين أو بعد اندماجها، كما يمكن أنْ نحدِّد عدداً من القيم العربية الخالصة من حياة أنكيدو والظروف المحيطة به إذا ما تخلصنا من البيئة الأسطورية لشخصيته في الملحمة. هذا بالإضافة إلى أنَّ قول أنكيدو وتصرفاته في المرحلة

([21]) ـ يُنظر تفصل ذلك في كتاب: الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم، دراسة في ملحمة جلجامش، للدكتور: محمد خليفة حسن أحمد، نشر دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988.

السابقة على تكيُّفه مع البيئة الجديدة يمكن أنْ يُنظر إلها على أنَّها بقايا لفكر عربي قديم، وأثر أدبيٍّ على درجة كبيرة من الأهمية.

يضاف إلى ذلك كلِّهِ أنَّ اسم (جلجامش) ـ حسب تحليلنا، وفهمنا للغات القديمة ـ مكوَّنٌ من مقطعين: كلك + مش. فالكاف في المقطع الأول هي في الأصل (قاف)، وظاهرة تحوُّل القاف إلى كاف موجودة في اللهجات العربية السامية حتى يومنا هذا، ففي لهجة اليمن ـ على سبيل ـ المثال مازالوا ينطقون القاف كافاً، فيقولون مثلاً: كال، بدلاً من قال، الكائد بدلاً من القائد، كلم بدلاً من قلم... كما نجد هذه اللهجة في كثر من لهجات أهل الخليج، وصعيد مصر، وبعض المناطق السورية،... وبناءً على ذلك فإنَّ المقطع الأول يصبح ـ إذا ما أعدنا الكاف إلى أصلها وهو القاف ـ قلق. وأماً المقطع الثاني: (مش)، فهو علامة للتكثير في اللغة السومرية، وبناءً على ما تقدم يصبح معنى اسم جلجامش: الكثير القلق. وهذا يتناسبُ مع جاء في مضمون الملحمة من قلق جلجامش الكبير، وسعيه المستميت إلى معرفة سر الحياة الخالدة. وهذا التفسير هو رأيٌ شخصيٌّ أعتقد أنَّنا لم نسبق إليه من قبلُ.

ب ـ الكتاب المقدَّس عند اليهود، أي كتاب العهد القديم:

بدايةً لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ كتابَ العهد القديم لم تُدرك بعد أهميته العربية، خاصة في دراسات الأدب العربي القديم، وهذا الكتاب لا بدَّ من قراءته قراءة عربية؛ لأنَّ جل اهتمامنا الحالي به يتركَّز على محتوياته الدينية والتاريخية. وهي رغم أهميتها إلاَّ أنَّها حجبت الأنظار عن قسم هامٍ من أقسام العهد القديم، وهو القسم الأدبي الذي يشتمل على مجموعة من الأسفار ذات الطابع الأدبي، وتسمَّى هذه الأسفار بالمكتوبات، وأحياناً بكتب الحكمة، وتشتمل على ما خلفه الإسرائيليون، والعبريون القدامى من نتاج أدبي في هذا المجال.

والصفة الأساسية في هذا القسم الأدبي أنَّه لا يشير في معظم الأحوال إلى نتاج أدبي يهودي خالص، إنَّما هو بوتقة انصهر فيها العديد من آداب الشرق الأدنى القديم، واختلطت فيه ثقافاتٌ متعدِّدةٌ على رأسها الثقافة العربية ، ثمَّ الثقافة الآرامية، وثقافة بلاد ما بين النهرين، كما تظهر فيه آثار واضحة وقوية لثقافات بلاد فارس واليونان. والحقيقة أنَّ الثقافة العربية بالذات لا تظهر فقط في القسم الأدبي من كتاب العهد القديم، ولكن نجدها في مواضع متعدِّدة منه، خاصةً في التوراة التي تعطينا ـ من الناحية التاريخية ـ تصوراً لانفصال العبريين عن العرب على المستوى التاريخي والجغرافي.

كما يشمل كتاب العهد القديم على آثار عربية لا يستهان بها في حديثها عن إبراهيم عليه السلام، والإسماعيليين والمديانيين وغيرهم من الأقوام العرب الذين نشأ بينهم العبريون القدامى، الذين لا تختلف صورتهم في كتاب العهد القديم عن صورة العرب، مما يؤكِّدُ على الأصول العربية للعبريين القدامى. وفي الأسفار التاريخية حديث متصل عن علاقات الإسرائيليين بكثير من الأقوام العرب المحيطين بهم. وهناك مناخ عربي نجده مسيطراً وسائداً على كثير من الأسفار، مثل سفر التكوين، والخروج، والقضاة، وأسفار الملوك الأول والثاني، وأخبار الأيام الأول والثاني، وسفر راعوث المؤابية. وهناك قصص تختلط فيها المادة العبرية بالمادة العربية مثل قصة يوسف وقصة ملكة سبأ، بل وهناك أسفار تدور الشكوك حول أصولها العربية، مثل سفر أيوب، وسفر الأمثال.

فمن الأسفار التي تدور الشكوك حول أصولها العربية سفر أيوب:

أيوب: أحد شخصيات كتاب العهد القديم، ورد ذكره في سفر مكوَّنٍ من اثنين وأربعين إصحاحاً يحملُ اسمه. تعدُّه الأعراف اليهودية من الشخصيات التاريخية. ولدَ في حوران، بالقرب من دمشق، في الحقبة الزمنية الواقعة بين إبراهيم الخليل وموسى عليهما السلام. كان ثرياً ومقتدراً. أراد الله تعالى أنْ يمتحنَ صبرَهُ فأفقده أبناءَهُ، وأمواله، وأوقعه في بؤسٍ

كبير. فكانت ردَّةُ فعلِ أيوبَ جملةً أصبحت مأثورةً: (الله أعطى والله أخذ، ليكن اسم الرَّبِ مباركاً). وقد استحقَّ بذلك أنْ يعيدَ إليه الرَّبُ أضعافَ ما أخذَ منه.

ويميلُ علماءُ الكتابِ المقدَّسِ الحديثون إلى الاعتقاد بأنَّ شخصيةَ أيوب، هي من نتاج الأدب السامي السابق لجدود العبرانيين. والحقيقة أنَّ نسبة قصة أيوب إلى أصلٍ عربي رأيٌ قال به بعض النقاد المتخصِّصين في دراسات العهد القديم وفي الدراسات العربية. فالمعجم الخاص بالعهد القديم الذي وضعه العلامة (جزينيوس) يعرِّف أيوب بأنَّه عربيٌّ تعريفاً مباشراً ليس فيه لَبْسٌ، والمستشرق (ألفرد جيوم) كتبَ مقالاً بعنوان:(الخلفية العربية لسفر أيوب)، وكذلك ردَّ (مرجليوث) السفر إلى أصول عربية.([22])

كما ذهب (بنيامين جرين) في تلخيصه التاريخي للعهد القديم إلى أنَّ النبي أيوب أقدم من موسى نفسه، إذ حدَّد تاريخه بعام 1520 ق.م. وكان الأديب الفرنسي الكبير (فولتير) قد سبق إلى القول بأنَّ أيوب وسفره أقدم من التوراة، وأنَّ العبريين أخذوه عن العرب وترجموه إلى لغتهم.([23])

ومن قدماء من قال بعروبة أيوب، وبالأثر العربي البارز في سفره، العالم اليهودي(ابن عزرا)، وهو من رجال القرن الثاني عشر الميلادي. وقد تبعه في ذلك جماعة من الباحثين الذين وجدوا في الكلمات والتعابير والأسماء الواردة في ذلك السفر ما يشير إلى وجود أثر عربي عليه، حتى ذهب بعضهم إلى أنَّ ذلك السفر هو ترجمة لأصل عربي مفقود. ([24])

وبالعودة إلى سفر أيوب وجدنا :

1ـ اسم " أيوب " نفسه ليس اسماً عبرياً، وعندنا في اللغة العربية الفعل: آب ـ يؤوبُ، بمعنى: عاد ورجع، يقول ابن فارس في مقاييسه:" الهمزة والواو والياء أصل واحد، وهو الرجوع".([25]) وهو في الآرامية والسريانية له صيغتان: (تاب) بالتاء، أي رجع عن الذنب الذي ارتكبه، ثمَّ (ثاب) بالثاء، ومعناها رجع بسلام، نقول: ثاب إلى رشده، وثاب إلى أهله ونحو ذلك. أمَّا في العبرية فأصل الاشتقاق المقابل لهذا المعنى هو: (شاب ـ يشوب) بالشين. وعليه يكون أيوب أقرب الألفاظ إلى الأصل العربي، وهو الرجل العائد إلى الله، أو التائب.

2 ـ أصحاب أيوب الذين عاش بينهم تبدو أسماؤهم عربية، ومن هؤلاء:

●ــ أَلِيفَازُ ٱلتَّيْمَانِيُّ:

فكلمة (أَلِيفَازُ) مكونة من مقطعين هما: (إيلي = إلهي) + (فاز= انتصر)، وبالتالي فإنَّ معنى الاسم هو: انتصر إلهي، أو إلهي هو المنتصر. وهذا الرجل منسوب إلى بلد عربي خالص هو تيماء، وهي قريةٌ من قرى تبوك في المملكة العربية السعودية.

●ــ بِلْدَدُ ٱلشُّوحِيُّ:

كلمة (**بِلْدَدُ**) منحوتةٌ من كلمتين اثنتين هما: (بعل = وهو إله سامي مشترك، وهو إله الخِصب)([26]) + (داد= فعل العطاء بالفارسية)، فيكون معنى هذا الاسم (عطاء الله/ الله هو المُعْطِي)، ومعنى الاسم يرتبط بما كان هذا الصاحبُ

([22]) ــ يُنظر: صفيه، د. وحيد، الوجيز في اللغة العبرية(أدب، قواعد، نصوص)، منشورات جامعة تشرين، كلية الآداب،2018 ـ 2019 م، ص 44.

([23]) ـ يُنظر: ظاظا، د. حسن، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، الاسكندرية 1971، ص 55.

([24]) ـ يُنظر: علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1/ 632ـ 634.

([25]) ــ ابن فارس، (أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر دار الفكر، بيروت، 1399هـ/ 1979م، ج152/1.

([26]) ـ يُنظر: عبودي، هنري س، معجم الحضارات السامية، جروس برس، طرابلس ـ لبنان، الطبعة الثانية، 141هـ/ 1991م، ص 229.

في سفر أيوب مهتماً به، إذ كان **(بِلْدَدُ)** مهتماً بحالة السماء ونزول المطر منها، وكأنَّه المزارع البسيط الذي خَبِرَ الحياة، وبشَّرَ أيوبَ بحسن العاقبة ومجيء الفرح.

●ـ صُوفَرُ ٱلنَّعْمَاتِيُّ:

هذا الاسم نَسَبَهُ عربيٌّ أصيلٌ، فهو(صَافِر) أي الطائر المُبشِّرُ بالخير، وهو النُّعْمَاني من النَّعِيم، ويرى الدكتور محمد صالح توفيق أنَّ (النُّعْماني) ربَّما كانَ تحريفاً لاسم موضع يدعى نعمان الأراك، وهو إقليمٌ معشبٌ كثيرُ الخضرة والثمار في غرب الجزيرة العربية.([27])

3ـ ألفاظ القرابة الواردة في السفر هي ألفاظ قديمة مشتركة بين اللغات السامية، مثل: أب، أم، أخ، أخت، بنت، ... وكذلك ألفاظ أعضاء البدن، مثل: أذن، رأس، رِجل، فم، جلد، لسان، شعر، بطن، ....كما يرد في السفر أسماء بعض الحيوانات مثل: الجمل، والجمل من أقدم الحيوانات وأعزها عند العرب، وطبيعي أنْ يقرن بالبادية، ويصير رمزاً لها، وليس من تراث اليهود المعروفة في التاريخ، ولم يعرفوه كوسيلةٍ للنقل إلاَّ في القرن العاشر الميلادي في الأندلس، وكل هذا يؤكِّد لنا عروبة هذه الكلمة.([28]) كما نجد في سفر أيوب أسماء الأماكن مثل: (عوص)، وقد جاء في قاموس الكتاب المقدَّس أنَّ أيوب أقام فيها، ويعتقد أنَّ أرض (عوص) تقع بين دمشق وأدوم، في الصحراء السورية، وهناك من يعتقد أنَّها أرض حوران.([29]) كما تتجلى في سفر أيوب بعض القيم الاجتماعية مثل: الكرم، والمروءة، والشهامة ، وهي قيم عربية خالصة.

استناداً إلى كل ما تقدَّم يمكن القول إنَّ سفر أيوب الوارد في كتاب العهد القديم إنَّما هو ملحمة عربيةٌ قديمةٌ اغتصبها اليهود، ووضعوها في كتابهم المقدَّس، ونسي الناس عبر الزمن أصلها الحقيقي، وبيئتها التي خرجت منها، وهي البيئة العربية.

ثانياً ـ سفر راعوث(روت):

راعواث(روت) هي: امرأة مؤابيةٌ كانت زوجةً لأحد الإسرائيليين المتغرِّبين في بلاد مؤاب هرباً من المجاعة. وعند وفاة زوجها عادت حماتها (نُعْمِي) إلى بلاد كنعان فصحبتها. ووقع في حبها أحد أثرياء بيت لحم ويدعى(بوعز) فتزوَّجها، ورُزِقَ الزوجان ابناً دُعي (عوبيد)، هو الجد الأكبر لداود الملك.

وفي كتاب العهد القديم سفرٌ يحمل اسم (راعوث) مكتوبٌ باللغة العبرية، لكنَّهُ مجهول الكاتب. ويرجَّحُ أنَّ هذا السفر يعود إلى تاريخ لاحق للسبي البابلي ويشكِّلُ ردَّةَ فعل على إصلاحات (نحميا) المتعلقة بالزواجات المختلطة. وبناءً على ما جاء في هذا السفر فإنَّ راعوث هي جدة داوود الملك.

إنَّ سفر(راعوث) من الأسفار التي تعكس أثراً عربياً واضحاً؛ لأنَّ موضوع السفر لا يعكس رؤية يهوديةً خالصةً؛ لأنَّه يتحدَّث ـ كما أسلفنا ـ عن الزواج من الأجنبيات، وهو أمرٌ مرفوض دينياً في الديانة اليهودية. فسفر راعوث يروي قصة زواج إسرائيليين من أجنبيات على أنَّه أمرٌ طبيعي، ولا يمثِّلُ خروجاً على الدين. ويتمادى السفر في هذه النظرة المتسامحة تجاه الأمم الأخرى بعدم مطالبة الزوجات الأجنبيات بالدخول في اليهودية.

([27]) ـ توفيق، د. محمد صالح، اللغة العبرية تطبيقات في المنهج المقارن، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، بلا تاريخ.، ص 160.

([28]) ـ يُنظر: توفيق، د. محمد صالح، اللغة العبرية ـ تطبيقات في المنهج المقارن، ص 164. ويُنظر: علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1/ 197.

([29]) ـ يُنظر: قاموس الكتاب المقدس، صادر عن دار مكتبة العائلة، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، 2001م، ص 647.

بيدَ أنَ الراجح عندنا أنَّ هذه القصة عربية مؤابية ضاعت أصولها العربية، وسجلها كتاب العهد القديم على أنَّها قصة يهودية. أمَّا الأسباب التي دفعتنا إلى هذا القول فتتجلَّى فيما يلي: أولها: أنَّ الزواج من امرأة أجنبية محرَّمٌ شرعاً في الديانة اليهودية؛ لأنَّ الزواج من الأجنبية معناه السماح لغير اليهود بالدخول في العهد المقطوع مع الرب. وثاني هذه الأسباب هو: أنَّه نتيجة لانغلاق المجتمع اليهودي القديم، وحدّة العنصرية الدينية اليهودية فإنَّ مثل هذا الزواج يؤدي إلى الإضرار بصاحبه، ولا يمكنه بعد ذلك أنْ يندمج في مجتمعه اليهودي، بل ربَّما يؤدي إلى حرمانه دينياً من الدخول في جماعة الرب بسبب الزواج من الأجنبية. والسبب الثالث هو: أنَّه لا يمكن الجزم بالوقت الذي دوِّن فيه هذا السفر، أو بتحديد شخصية كاتبه. لهذه الأسباب نرى أنَّ القصة انتشرت في البيئة العربية المؤابية، وليس في البيئة اليهودية، كما أنَّ الدافع لحكايتها وروايتها يظلُّ دافعاً عربياً مؤابياً وليس يهودياً، فالعربي لا تقف أمامَ زواجه من الأجنبية حواجز تشريعية أو دينية كتلك التي تواجه اليهودي، كما أنَّ أحداث القصة وقعت على أرض عربية، بمعنى أنَّ مسرح الأحداث عربي.

يضاف إلى كلِّ ذلك وجود أدلَّة تقدِّمها لنا القصة ذاتها كما وردت في كتاب العهد القديم، منها الدليل اللغوي، وهو انتشار ألفاظ وعبارات لا تفهم إلاَّ من خلال التفسير العربي، وتظلُّ غامضةً في إطارها العبري. كما أنَّ المناخ العام للسفر يعكس بيئة عربية خالصةً. لذا نجد أنَّ عملية ربط السفر بالتاريخ اليهودي هي عملية تعسفية تمت من خلال إقحام سلسلة للأنساب الإسرائيلية في نهاية السفر في محاولة لربط بعض شخصيات السفر بنسب داود عليه السلام، كما أنَّ أسماء الأعلام الواردة في السفر تعكس ـ في معظمها ـ أصولاً عربية، بينما تغلب الرمزية على الأسماء اليهودية الواردة في السفر. فمن الأسماء الواردة في السفر، والتي تعود في أصلها إلى أصول عربية:

ـ راعوث: فهذا الاسم، حسبما ورد في قاموس الكتاب المقدَّس، هو: اسم مؤابي ربَّما كان معناه (الجميلة).([30])

ـ نُعْمِي: وهي حماة راعواث، والراجح عندنا أنَّ الاسم يكتبُ في العربية (نُعْمَى)، وهي مأخوذة من النعيم، والنُعْمَى تعني: الخَفْضُ، والدَّعةُ، والمال، وهي لين العيش، والسعادة، والنُّعْمى أيضاً : المروءة والإحسان...([31])

ـ عوبيد: وهو ابن راعوث من زوجها الثاني (بوعز)، وهذا الاسم معناه (عبد)، وهو أقرب ما يكون إلى اسم(عُبَيْد) في اللغة العربية، وهو تصغير لاسم(عبد)، لكن اللغة العبرية حوَّلت حركة العين من ضمة قصيرة(حولام قاطان) إلى ضمة طويلة(حولام جادول)، فكتُبَ الاسم(عوبيد).

ـ بُوْعَز: هو زوج (راعوث)، ومعنى هذا الاسم: ذو العز/ أبو العز/ صاحب العز. وهذه الأسماء مازالت مستعملة في لغتنا العربية حتى يومنا هذا، كأن نجد مثلاً: بو تفليقلة، بومالحة، بومدين، ...إلخ.

ـ أَلِيمَالك: هو زوج نُعْمِي، حماة (راعوث)، وهذا الاسم مكوَّنٌ من مقطعين: إيل + مالك. ومعنى المقطع الأول هو: الله، ومعنى المقطع الثاني: ملك، وبالتالي يصبح معنى الاسم كاملاً: الله الملك. وهذه الأسماء أيضاً موجودة في لغتنا العربية كأنْ نقول: جبرائيل، فهو مكون من مقطعين: جبر + إيل. ومعنى جبر: الرجل الشجاع، وإيل = الله، فيكون معنى جبرائيل هو: رجل الله الشجاع، ومثله: عزرائيل، ميكائيل،...إلخ.

ـ عُرْفَة: هي كنة نُعْمِي، وسِلْفَةُ راعوث، وهذا الاسم مؤابي معناه: عرف أو رقبة. ([32])

([30]) ـ يُنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص 390.

([31]) ـ يُنظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، مادة(نعم).

([32]) ـ يُنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص 619.

ثالثاً ـ سفر الأمثال:

أحد أسفر العهد القديم، يتكوَّن من واحد وثلاثين إصحاحاً يحتوي على مجموعة من الحِكَم الأخلاقية والعملية. ويعودُ قسمٌ من هذه الحِكَم إلى عهد سليمان، وقسمٌ ثانٍ إلى زمن حزقيا، وسائر ما تبقى يعود إلى 480 ق.م وهو لكتبةٍ مجهولين. ويحتلُّ سفر الأمثال مكاناً بارزاً على المستوى الشعبي، وفي أوساط العلماء. وقد صنَّف قاموس الكتاب المقدَّس أمثال سليمان بأنَّها أشهر مجموعة أمثال في العالم.([33])

يعكس سفر الأمثال أيضاً كثيراً من الآثار العربية. فقد ردَّ علماء نقد الكتاب المقدَّس الأجزاء الأخيرة من السفر إلى أصول عربية. فالإصحاح الثلاثون منسوب إلى (آجور بن مُتَّقِيَة مَسَّا)، وقد تمَّ تحديد (مَسَّا) على أنَّه قبيلة إسماعيلية من قبائل شمال الجزيرة العربية.([34]) وقد ورد ذكر (مَسَّا) في سفر التكوين على أنَّه من مواليد إبراهيم.([35])وفي الإصحاح الحادي والثلاثين يرد ذكر(لَمُوئِيل مَلِك مَسَّا)([36])، وقد ورد اسم هذين الملكين: (أجور، ولموئيل) في بعض النقوش المعينية وغيرها من النقوش العربية الجنوبية القديمة.([37]) ومن المعروف أنَّ العبرانيين تلقوا حكمة الشرق الأدنى، ومن بينها الحكمة المصرية والبابلية والعربية وأودعوها في أسفار الحكمة في كتاب العهد القديم.([38])

كيف وجدت المادة الأدبية العربية طريقها إلى الآداب السامية المختلفة؟

من الراجح عندنا أنَّ المادة الأدبية العربية التي دخلت في الآداب السامية اتخذت شكلين أساسيين:

الأول: المادة الشفوية التي تمَّ نقلها نقلاً شفوياً إلى الآداب السامية التي عرفت نظماً للكتابة في عصور مبكِّرة، فنقلت هذه المادة العربية الشفوية إلى مادة مكتوبة بلغة سامية غير العربية، كقصة أيوب مثلاً، فهذه القصة انتشرت بين العرب في شكل رواية شفوية، وعندما عرفها العبريون دوَّنوها، وسجَّلوها بعد إضافات يهودية عليها بهدف تهويدها وعبرنتها، ثمَّ تمَّ ضمُّها إلى كتاب العهد القديم. ويجب هنا أنْ نشير إلى أنَّ كثيراً من المواد التي لم تكن أصولها اليهودية محسومة واجهت صعوبات في عملية ضمها إلى الكتاب الديني المقدَّس عند اليهود، وينطبق هذا على معظم كتابات الحكمة ومن بينها سفر أيوب، وسفر الأمثال، و سفر راعوث التي سبق الحديث عنها من قبلُ.

أمَّا الشكل الثاني الذي اتخذته المادة الأدبية العربية فهو: الشكل الكتابي ، بمعنى أنَّه لا يُستبعد إطلاقاً أنْ تكون هناك نصوص أدبية مكتوبة باللغة العربية تمَّ نقلها وترجمتها إلى إحدى اللغات السامية، وأصبحت فيما بعد تُعدُّ من النتاج الأدبي للغة التي تُرجمت إليها، خاصة بعد أنْ نُسي مصدرها الأول، وبعد أنْ تلقت العديد من الصياغات الجديدة لتتناسب طبيعة اللغة المنقولة إليها، وطبيعة الشعب السامي الذي تلقاها. وقد أدَّت هذه الصياغات إلى ضياع الأصول النصية لهذه القطع الأدبية باندماجها التام في النصوص الجديدة التي تمت صياغتها، ولم يبق مما يدل عليها سوى بعض الألفاظ العربية.

ويبدو أنَّه لا أمل في استعادة النص الأصلي أو ما يقترب منه بسبب كثرة ما تعرضت له النصوص الأصلية من تغيرات، وتعديلات وخاصة أنَّ معظم هذه النصوص يدخل في دائرة الأدب الشعبي الذي تتعدَّد رواياته بتعدُّد رواته.

([33]) . يُنظر: المرجع السابق، ص:836.

([34]) ـ يُنظر: المرجع السابق، ص 889.

([35]) ـ يُنظر: سفر التكوين 25/ 12 ـ 14.

([36]) ـ سفر الأمثال: 31/ 1

([37]) ـ يُنظر: Philip Hitti, History of the Arabs, p.43

([38]) ـ يُنظر: أحمد حسن، د. محمود: الصورة الأدبية بين أسفار المكتوبات والأدب الجاهلي، ص 395 ـ 397.

أمَّا عن كيفية انتقال المادة العربية إلى الآداب السامية المختلفة، وخاصة إلى آداب العهد القديم، فالراجح عندنا أنَّها تمت عن طريق وسيلة النقل الشفوي في بيئة سامية لم تعرف الحدود الجغرافية الفاصلة بين شعوبها ومنها الهجرات العربية المتتالية إلى البيئة السامية في بلاد ما بين النهرين، والمنطقة السورية بما فيها فلسطين. كما لعبَ التجَّار العرب دوراً كبيراً في ذلك، إذ كانوا ينقلون مع بضائعهم نماذج من ثقافتهم وفكرهم.

لماذا تأخَّرت نصوص الأدب العربي القديم بالوصول إلينا قياساً بنصوص بعض اللغات السامية الأخرى؟

بدايةً يجب أنْ يعلم الباحثون في اللغة أنَّ الكتابةَ ليست المقياسَ الوحيدَ لعمر لغةٍ ما، فالإنسانُ تكلَّمَ أولاً ثمَّ كتبَ فيما بعد، وليس العكس. بناءً على ذلك نقولُ إنَّ اللغةَ الأكاديةَ التي تعودُ في آثارها الكتابية إلى منتصفِ الألفِ الثالث قبل الميلاد، وتليها الكنعانية بدايةَ الألفِ الثاني قبلَ الميلاد، ثمَّ الآراميةُ، ليست الأقدمَ في الترتيب الزمني من اللغة العربية. فالكشف عن الآثار والتنقيب عن مخلفاتِ شعوبِ المنطقة لم ينتهِ بعدُ، وقد نعثرُ يوماً على آثارٍ كتابيةٍ عربيةٍ تضاهي الأكاديةَ قِدَماً.

من جهة أخرى يمكننا القول إنَّه يبدو ـ ومن خلال طبيعة الحياة القديمة ـ أنَّ العرب قد مرُّوا بمرحلة أدبيةٍ شفهيةٍ أطول من غيرها من الشعوب السامية القديمة. فعلى الرغم من معرفة العرب للكتابة منذ زمن طويل قبل الإسلام إلاَّ أنَّهم لم يستخدموا الكتابة في تسجيل نشاطهم الأدبي، بل استخدموها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ولهذا ظلت نصوص الأدب العربي القديم النثرية والشعرية شفهية طوال تاريخ العرب القديم.([39])

يضافُ إلى كل ذلك أنَّنا يجب أنْ ندرك أنَّ ظروف العرب البيئية تختلف عن ظروف بقية الشعوب السامية التي عُثر لها على نصوص أدبية تعود إلى عصور قديمة. ومن أهم هذه الظروف كون معظم الشعوب السامية الأخرى شعوباً زراعية ـ في بلاد ما بين النهرين أو في المنطقة السورية ـ مما أدَّى إلى وفرة المواد المستخدمة في الكتابة عنها في البيئة الصحراوية كالألواح الطينية مثلاً وأوراق النباتات (كالبردي مثلاً)، الأمر الذي أدَّى إلى اعتماد العرب على الذاكرة في تسجيل الأحداث، وبالتالي كان يتمُّ حفظ الإنتاج الأدبي، وانتشاره عن طريق حفظه ورايته مشافهة، مما تسبب في ضياع الكثير من النصوص، ويبدو أنَّ جزءاً منها تسرَّب إلى آداب الشعوب السامية الأخرى، والتي قامت بتدوينها بعد تكييفها لظروفها الجديدة.

ثانياً ـ أهمية اللغات السامية في فهم أدبنا العربي على الصعيد اللغوي:

إنَّ ثمَّة فوائدَ كثيرةً يمكنُ أنْ تتحقَّق على المستوى اللغوي من خلال معرفة الدارس باللغات السامية؛ ذلك أنَّ جانباً هامَّاً من جوانب قضية فهم الأدب العربي القديم يتصلُ اتصالاً مباشراً باللغة. فهناك مواضيعُ في هذا الأدب استعصت على الفهم والتفسير؛ لأنَّها اشتملت على ألفاظٍ ليست أصيلةً في العربية الشمالية، فاضطرَّ شرَّاحُ الأدب العربي إلى تفسيرها في إطار المعجم العربي، أو استناداً إلى معرفةٍ ضيقةٍ باللغات السامية، فأتت شروحُهمُ ناقصةً ولا تعطي الدلالاتِ المباشرةَ أو التفسيرَ الصحيحَ لهذه الألفاظ السامية الدخيلة في العربية. وثمَّةَ أمثلةٌ كثيرة على ذلك، لكنَّنا سنكتفي ببعضها هنا نظراً لضيق المساحة المخصَّصةِ للبحث. فمن هذه الأمثلة لفظة(مَقْتَوِين) التي وردت في غير موضع من الشعر العربي القديم، ومن هذه المواضع معلَّقة عمرو بن كلثوم في قوله: ([40])

([39]) ـ يُنظر: خليف، د. يوسف: الروائع من الأدب العربي القديم، الجزء الأول: العصر الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م، 56 ـ 57.

([40]) ــ ديوان عمرو بن كلثوم، جمعه وحققه وشرحه: يميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1416هـ/1996م، ص79.

تَهَدَّدنا و أَوْعِدْنا رُوَيْداً متى كُنَّا لأمِّكَ مَقْتَوِيْنا

فقد توهَّم بعضُ اللغويين العرب أنَّ هذه اللفظة عربية شماليةٌ، ونَقَلَ ابن الأنباري عن الفرَّاء قوله: " الرواة والنحويون ينشدون بيت عمرو **(مَقْتَوِيْنا)** بفتح الميم، كأنَّه نسب إلى مَقْتَى، وهو من القتو، والقَتْو: الخدمة، خدمة الملوك خاصة والتذلل لهم. ثمَّ إنَّ الشاعر اضطرَّ إلى تخفيف الياء فقال: مَقْتَوِيْن يريد مَقْتَوِيِّين. فإذا قالوا للواحد: (رجلٌ مَقْتَوِيٌّ) رجعوا إلى التشديد، ففي هذا دلالة على أنَّ الشاعر اضطرَّ.([41]) كما نقل صاحب اللسان عن أبي عونٍ الحرمازي قوله: (رجل مقتوين ورجلان مقتوين ورجال مقتوين كلُّه سواء).([42]) أمَّا ابن جني فقد أدرك بحسِّه اللغوي أنَّ الواو والياء في : هؤلاء مقتوون، ومررتُ بمقتوين، ورأيتُ مقتوين ليست إعراباً، إذ لو كانت كذلك لوجب أنْ يقال: هؤلاء مقتون، ورأيتُ مقتين، ومررتُ بمقتين، ويجري مجرى مصطفين. أمَّا سيبويه فقد جعله بمنزلة الأشعري والأشعرين، قال: وكان القياس في هذا؛ إذا حذفت ياء النسبة منه، أنْ يقال: مقتون، كما يقال في الأعلى الأعلون إلاَّ أنَّ اللام صحَّت في مقتوين لتكون صحتها دلالة على إرادة النسب، ليعلم أنَّ هذا الجمع المحذوف منه النسب بمنزلة المثبت فيه ([43])

وثمَّة آراءٌ متعدِّدةٌ تدلُ على عدم اتفاق اللغويين العرب حول أصل هذه اللفظة، وما ذلك فيما نحسبُ، إلاَّ لأنَّ اللفظة ليست عربيةً شماليةً، بل هي دخيلة في العربية الشمالية من اللغات اليمنية القديمة." ذلك أنَّ عرب الشمال حين اقتبسوا بعض المفردات اللغوية الجنوبية، وما أكثر الاحتكاك اللغوي بين الطرفين، أخذوا هذه المفردات مع ما تحمله من لواحق دون أنْ يفطنوا إلى ما وراء هذه اللواحق من وظائف نحوية، فعدُّوها عناصر أصلية من الكلمة، وهذا أدَّى بدوره إلى اشتمال العربية الشمالية على أبنية رباعية في ظاهرها، غريبة على علم البنية العربية، ومن ثمَّ شكَّلت إرباكاً للباحثين قديماً، إذ لم يكن ـ بالطبع بمقدور المعارف اللغوية المتاحة تفسير هذه المستويات، ولكنَّ البحث الحديث المعتمد على معطيات المنهج المقارن، والمتوسِّع في الدراسات السامية بإمكانه أنْ يقدِّمَ تفسيراً لهذه المستويات بردِّها إلى أصولها.([44])

وبالتالي يمكن القول إنَّ لفظة (مقتوين) التي وردت في العربية الشمالية مزيدة بالنون هي دخيلةٌ فيها من اللغة اليمنية القديمة، ومن المعروف أنَّ العربيات الجنوبية تستخدم اللاحقة(ن) أداةً للتعريف وموضعها آخر الكلمة المراد تعريفها، في حين أنَّ العربية الشمالية تستخدم الأداة (أل) ومكانها أول الاسم المعرَّف.([45]) كما أنَّ ورود هذه الكلمة في العربية الشمالية مزيدة بالنون يوحي بأنَّ الصيغة جمع مذكَّر سالم، ولكنَّ الحقيقة هي أنَّ هذه النون للتعريف تُنوسي أصلها، ولذلك وردت هذه الكلمة في العربية الشمالية تؤدِّي معنى المفرد والمثنَّى والجمع والتذكير والتأنيث. وقد ورد جذر هذه الكلمة في السبئية، حيث نجد muqtawy (qtw) بمعنى: خازن، خادم، مدبِّر عند قَيْل أو قبيلة، ...([46]) وكان عرب الجنوب يجمعون مقتوي على مقتٍّ، أي يجمعونها جمع تكسير.([47])

([41]) ـ يُنظر: ابن منظور، السان العرب، مادة (قتا).

([42]) ـ يُنظر: المصدر السابق، المادة نفسها.

([43]) ـ يُنظر: المصدر السابق، المادة نفسها.

([44]) ـ يُنظر: عبد راوح، عبد الوهاب: اللهجات اليمنية القديمة والمعاصرة وأصلها في اللغات السامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، 1982م، ص 49.

([45]) ـ يُنظر: بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، نشر جامعة الرياض، 1977م،ص130.

([46]) ـ يُنظر: غويدي، اغناطيوس، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، الجامعة المصرية، القاهرة، 1930م، ج2/ 33.

([47]) ـ يُنظر: عبد راوح، عبد الوهاب: اللهجات اليمنية القديمة والمعاصرة وأصلها في اللغات السامية،ص 49.

ومن الأمثلة التي تؤكِّدُ أهمية معرفة اللغات السَّامية في الفصل في كثيرٍ من القضايا اللغوية التي دار خلافٌ حولها، كلمة(فُوْمِها) التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: **(فَادْعُ لنا ربَّكَ يُخْرِجُ لنا مِمَّا تُنبتُ الأرضُ مِنْ بَقْلِها وقِثَّائها وفُوْمِها وعَدَسِها وبَصَلِها)**.([48]) فقد قرأها حفص بالفاء، بينما قرأها ابن عباس، وابن مسعود بالثاء.([49]) والسؤال المطروح هو: هل أصل هذه الكلمة بالثاء أم بالفاء؟ والإجابة عن هذا السؤال تكون بمقارنة هذه الكلمة بنظيراتها من اللغات السامية الأخرى، ذلك أنَّ الشين العبرية تقابل تاءً في الآرامية والسريانية، وشيناً في الأكادية، وثاء في العربية والأوغاريتية، وتلك قاعدة مطَّردة.([50]) وبالتالي فإنَّ هذه الكلمة تظهر في اللغات السامية المذكورة آنفاً كما يلي:

العربية والأوغاريتية	العربية الجنوبية والحبشية	الآرامية والسريانية	العبرية	الأكادية
ثوم	sōmat	ܬܘܡܐ /תּוּמָא	שׁוּם	Šūmu

وبناءً على ما تقدَّم فإنَّ أصل هذه الكلمة في العربية بالثاء، وليس بالفاء. ويبدو أنَّ سبب ورودها بالفاء هو من قبيل إبدال الحروف في العربية، وإقامةِ بعضها مكان بعض. وقد ذكر السيوطي في المزهر أمثلةً متعدِّدةً للإبدال بين الثاء والفاء، منها على سبيل المثال: الحُثَالة والحُفَالة: الرديء من كل شيء، اللِّثام واللِّفام، الأثافي والأثاثي، الثوم والفوم...إلخ.([51])

خاتمة:

انطلاقاً من كلِّ ما تقدَّم يمكن القول إنَّ معرفتنا بتراثنا السامي القديم له ـ بلا شك ـ دورهُ الكبير في فهم الكثير من القضايا الأدبية واللغوية التي ليس لها تعليل أو تفسير إذا ما نُظِرَ إليها داخل حدود اللغة العربية، والأدب العربي. واستناداً إلى هذه الحقيقة العلمية لا بدَّ من التأكيد على ضرورة الاهتمام باللغات السامية بصورة عامة، ودراسة اللغة العربية في ضوء هذه اللغات بصورة خاصة لما في ذلك من الفائدة العلمية الكبيرة في فهم العربية أدباً ولغةً.

([48]) ـ سورة البقرة 2/ 61.

([49]) ـ يُنظر: شاهين، عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ص 381.

([50]) ـ يُنظر: موسكاتي، سبتينو، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة: مهدي المخزومي، وعبد الجبار المطلبي، بيروت، 1933، ص 80.

([51]) ـ السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط: محمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، د.ت، 465/1.

المصادر والمراجع

Sources and references

أ ـ باللغة العربية:

●ـ القرآن الكريم

●The Holy Qur'an

●ـ الكتاب المقدَّس (العهد القديم والجديد)، دار الكتاب المقدَّس، دار حلمي للطباعة، القاهرة، 1970م.

●The Holy Book (Old and New Testament), Dar Al-Kitab Al-Muqadda, Dar Helmy Printing, Cairo, 1970 AD.

●ـ أحمد حسن، د. محمود: الصورة الأدبية بين أسفار المكتوبات والأدب الجاهلي، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب عين شمس، 1984.

●- Ahmed Hassan, Dr. Mahmoud: The literary image between the written books and pre-Islamic literature, unpublished doctoral dissertation, Ain Shams Arts, 1984.

●ـ برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، تعليق: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة1977م.

●- Bergstrasser, The Grammatical Development of the Arabic Language, Commentary: Dr. Ramadan Abdel Tawab, Al-Khanji Library, Cairo, third edition, 1977 AD.

●ـ بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة: د. رمضان عبد التواب، نشر جامعة الرياض، 1977م.

●- Brockelmann, Karl, Semitic Philology, translated by: Dr. Ramadan Abdel Tawab, Riyadh University Publishing, 1977 AD.

●ـ توفيق، د. محمد صالح، اللغة العبرية تطبيقات في المنهج المقارن، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، بلا تاريخ.

●- Tawfiq, Dr. Muhammad Saleh, The Hebrew Language Applications in the Comparative Method, Dar Al-Hani for Printing and Publishing, Cairo, no date.

●ـ حسين، طه: في الأدب الجاهلي، نشر: دار المعارف، مصر، ط17، مقدمة الطبعة الثانية 1927.

●Hussein, Taha: On Pre-Islamic Literature, published by: Dar Al-Maaref, Egypt, 17th edition, introduction to the second edition, 1927.

●ـ حسن أحمد، د. محمد خليفة :

ـ الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم، دراسة في ملحمة جلجامش، نشر دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988.

ـ رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، نشر: دار قباء، القاهرة، 1998م.

●- Hassan Ahmed, Dr. Muhammad Khalifa:

Myth and History in the Ancient Eastern Heritage, A Study in the Epic of Gilgamesh, published by the House of Cultural Affairs, Baghdad, 1988.

An Arab vision in the history and civilization of the ancient Near East, published by Dar Quba, Cairo, 1998 AD.

●ـ خليف، د. يوسف: الروائع من الأدب العربي القديم، الجزء الأول: العصر الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983م.

●- Khalif, Dr. Youssef: Masterpieces from Ancient Arabic Literature, Part One: The Pre-Islamic Era, Egyptian General Book Authority, Cairo, 1983 AD

●ـ السواح، فراس، قراءة في ملحمة جلجامش، دار العربي للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى 1987م.

●Al-Sawah, Firas, A Reading of the Epic of Gilgamesh, Dar Al-Arabi for Printing and Publishing, Damascus, first edition 1987 AD.

●ـ السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط: محمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، د.ت.

●Al-Suyuti, Jalal al-Din, Al-Mizhar fi Sciences of Language and its Types, Explanation and Control: Muhammad Jad al-Mawla and others, Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyah in Cairo, D. T.

●ـ شاهين، عبد الصبور، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

●Shaheen, Abdel Sabour, Qur'anic Readings in the Light of Modern Linguistics, Al-Khanji Library Publishing, Cairo, D. T.

●ـ صفية، د. وحيد، الوجيز في اللغة العبرية(أدب، قواعد، نصوص)، منشورات جامعة تشرين، كلية الآداب،2018 ـ 2019 م.

●- Safia, Dr. Wahid, Al-Wajeez in the Hebrew Language (Literature, Grammar, Texts), Tishreen University Publications, Faculty of Arts, 2018 - 2019 AD.

●ـ ظاظا، د. حسن، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، الاسكندرية 1971.

●- Zaza, Dr. Hassan, Israeli Religious Thought, Its Phases and Doctrines, Institute for Arab Research and Studies, Alexandria 1971.

●ـ عابدين، د. عبد المجيد: الأمثال في النثر العربي القديم مع مقارنتها بنظائرها في الآداب السامية الأخرى، دار مصر للطباعة، 1956م.

●- Abdeen, Dr. Abdel Majeed: Proverbs in ancient Arabic prose, comparing them to their counterparts in other Semitic literatures, Misr Printing House, 1956 AD.

●ـ عبد راوح، عبد الوهاب: اللهجات اليمنية القديمة والمعاصرة وأصلها في اللغات السامية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، 1982م.

●Abd Rawah, Abd al-Wahhab: Ancient and contemporary Yemeni dialects and their origin in the Semitic languages, unpublished master's thesis, Ain Shams University, 1982 AD.

●ـ عبودي، هنري س، معجم الحضارات السامية، جروس برس، طرابلس . لبنان، الطبعة الثانية، 141هـ/ 1991م.

●- Aboudi, Henry S., Dictionary of Semitic Civilizations, Gross Press, Tripoli, Lebanon, second edition, 141 AH/1991 AD.

●ـ قاموس الكتاب المقدس، صادر عن دار مكتبة العائلة، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر، 2001م.

●- Bible Dictionary, published by the Family Library, Cairo, fourteenth edition, 2001 AD.

●ـ علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، نشر جامعة بغداد، ط2، 1993.

●- Ali, Dr. Jawad, Al-Mufassal fi Tarikh al-Arab before Islam, Baghdad University Publishing, 2nd edition, 1993.

●ـ ابن فارس، (أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر دار الفكر، بيروت، 1399هـ/ 1979م.

●- Ibn Faris, (Ahmed bin Faris bin Zakaria Abu Al-Hussein), Dictionary of Language Standards, edited by: Abdul Salam Haroun, published by Dar Al-Fikr, Beirut, 1399 AH / 1979 AD.

●ـ غويدي، اغناطيوس، المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة، الجامعة المصرية، القاهرة، 1930م.

●Guidi, Ignatius, A Compendium on Ancient South Arabic Linguistics, Egyptian University, Cairo, 1930 AD.

●ـ فخري، د. أحمد: دراسات في تاريخ الشرق القديم، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1963م، ط2.

●- Fakhry, Dr. Ahmed: Studies in the History of the Ancient East, published by the Anglo-Egyptian Library, Cairo 1963, 2nd edition.

●ـ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م.

●- Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad bin Makram, Lisan al-Arab, Dar Sader, Beirut, first edition, 1990 AD.

●ـ ابن الأنباري، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، الطبعة الخامسة، د.ت.

●- Ibn al-Anbari, Explanation of the Seven Long Pre-Islamic Poems, edited by: Abd al-Salam Haroun, Dar al-Ma'arif, fifth edition, d. T.

●ـ موسكاتي، سبتينو:

ـ مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة: مهدي المخزومي، وعبد الجبار المطلبي، بيروت، 1933.

ـ الحضارات السامية القديمة، ترجمة: د. السيد يعقوب بكر، دار الرُّقي، بيروت، 1986.

●-Moscati, Septino:

- An Introduction to Comparative Grammar of Semitic Languages, translated by: Mahdi Al-Makhzoumi and Abdul-Jabbar Al-Muttalabi, Beirut, 1933.

- Ancient Semitic Civilizations, Translated by: Dr. Mr. Yacoub Bakr, Dar Al-Roqi, Beirut, 1986.

ب ـ باللغة الأجنبية:

-D.S Margoliouth, The Relations Between Arabs and Israelites prior to the Rise of Islam , Oxford Univ . press, 1924 .

-Philip Hitti, History of the Arabs, 9th edition, Macmillan , London, 1968.